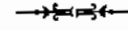




ديوان صبرى باشا

نقيب الأئمة الزين

الأديب محمد فهمى عبد اللطيف



سمحت الأقدار ، ففرع لجمع ديوانه صهره الكريم صاحب العزة
حسن رفعت بك ، ونهض لتصحيحه وضبطه وشرحه وترتيبه
صديقه وملازمه الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين ، فكان
فى ذلك وفاء للشاعر ، وتقدير للأدب ، وإنصاف للتاريخ ، ودفع
للمار الذى حق علينا بتفريطنا فى حق ذلك الشاعر ، وفى حق
الأجيال المقبلة !

لقد كان صبرى رحمه الله بين معاصريه « أستاذ الشعراء
وشيوخهم » فى الصناعة ومراعاة الدقة فى الربط بين المعنى وبين
لبوسه من اللفظ ، ولكنه كان أيقناً مترفاً لا يقول إلا بدافع
النفس ورغبة القول ؛ ثم لم يكن يعنى بتدوين كل ما يقول .
ومن ثم لم يبلغ ديوانه فى الحجم مبلغ دواوين رصفائه مثل البارودى
وشوق وحافظ ومطران وعبد المطلب . على أنه قد راد كل أبواب
الشعر التى كانت مطروقة فى أيامه ، فقال فى المديح والبهاني
والتقاريف وهى أكثر من ثلث الديوان ، وقال فى الهجاء وهو
لا يتجاوز الصفحتين ، وقال فى الفكاهات وفى الغزل والذكري
والتشويق وفى ذلك كل عبقرية صبرى وشاعريته ، وقال فى الوصف
والاجتماعيات والسياسيات والألهيات والمراثى والأناشيد ،
وعلى هذا الوضع جرى الأستاذ الزين فى تبويب الديوان . وقد عنى
بترتيب القصائد فى كل باب ترتيباً تاريخياً مع بيان المناسبات
والدواعى التى قيلت فيها كل مقطوعة ، وهذا فى الواقع ترتيب
جليل ، إذ به نستطيع — كما يقول الدكتور طه — أن نتبع
النشأة الفنية لهذا الشاعر ، وأن تبين ما اختلف على شعره من
الأنماط فى غير مشقة ولا عناء ، وهو من هذه الناحية درس
قيم لنشأة الفن الشعرى عند شاعر ممتاز ، ومن الخير أن يعرض
هذا الدرس على الشباب

ولا شك أن الأستاذ الزين قد وفق كل التوفيق فى إخراج

فى الشعر العربى كثير من الشعراء الذين استبدت بشعرهم
عواذى الزمن وعن الأيام ، فضاعت آثارهم فى أجواء العصور
الخالية ، وذهبت دواوينهم بين سجع الأرض وبصرها . ولعل الذى
ضاع من الشعر العربى أكثر من الذى بقى . ولعل الأيام لو أسعدتنا
ببقاء هذه الثروة كاملة لكان للأدب العربى وجهة غير وجهته ،
ووضع غير الوضع الذى هو عليه اليوم . وإذا كان للقدماء العذر
فى ذلك من صعوبة التدوين ، وندرة الكتابة ، ومشقة الرحلة ،
فما عذرنا نحن إذا ما فرطنا فى آثارنا الطيبة وتركنا نتاج أدبائنا
البارزين نهب الضياع ، على حين قد أصبح التدوين سهلاً ميسوراً
تؤديه الآلات ، ويتم بأيسر النفقات ! إننا لا شك أمة جاحدة
لا تقدر أدبائها ، جامدة لا تحترم فنها ، قاصرة إذ تفرط فى الجميل
النافع ، بينما يذيع فيها القبيح التافه !

هذا ما كنت أقوله لنفسي إذ يجرى على لساني بيت من أبيات
صبرى باشا السائرة ؛ أو أستمع إلى مغنى يغرد بأغرودة من أغاريد
الخالدة ، أو يرتفع صوت فى الندى بأسماء الشعراء الذين نهضوا
بنا فى الأدب ، وحفظوا علينا فى الشعر كرامة النسب إلى العرب .
ولقد كان الأسمى يتملكنى إذ أرى شعر ذلك الشاعر الممتاز
فى شاعريته وفى مصريته مشتتاً لا يجمعه ديوان ، مهملاً لا يقي
بطبعه صديق ، مفقوداً لا يهزج به الأبناء ولا يدره إلا الخاصة
من العمرين . وأخيراً وبعد خمسة عشر عاماً مضت على وفاة الشاعر

أن يجمع للقارى بين الاستفادة من شعره ، وتلك الدراسة الواسعة المستوعبة لكثير من نواحيه . وأنا شخصياً لا يهمنى كثيراً ما كتبه أولئك الأساتذة عن صبرى الشاعر ، فإن شعر الرجل خير من يقصحه عنه ويدل عليه ، وإن ميزات الرجل في شعره لواحة جليلة لا يختلف في تقديرها أحد ، كما لم يختلف في تقديرها الأساتذة الفضلاء ، ولكنى لا شك معجب بما كتبه الزين عن صبرى الرجل ، وما ذكره من أخلاقه ووطنيته . وبأجدا لو مدّ القول في ذلك فرسم لنا صورة كاملة لشخصية صبرى تقوم إلى جانب شاعريته الكاملة ، فإن فهم شخصية الشاعر أساس لفهم شاعريته ، وعلى هذا تقوم الدراسات الحديثة ، والناهج الرشيدة عند علماء النقد

وأما بعد ، فإذا كان شعر صبرى آية الجمال في تصوير الجمال ، فإن ديوانه قد خرج للناس آية الكمال في تقدير الكمال ، فهو كالروض الأنف جمع أطيب الزهر ، وتم له جمال الموقع وبهاء التنسيق ، وما أحسبه يقل في تنسيق وترتيبه عن ديوان حافظ الذى تولته وزارة المعارف ، ولا عن ديوان شوقى الذى خرج برعايته ، بل إلى لأراه يفوقهما روعة ودقة . وإنه لجهده مشكور ذلك الذى أداه الأستاذ الزين في خدمة هذا الديوان ، ولوقدر لصبرى أن يرى ديوانه لاغتبط بهذا الصنيع ، ولشكر لصديقه وفاءه ، وحده له عناء ، وإنه لمشكور من الأدباء في جميع الأمصار ، محمود من أبناء العربية في سائر الأقطار محمد فزهمى عبد اللطيف

هذا الديوان الجميل ، فضبطه وشرحه على أتم وجه وأكمله . ولقد جهدت أن أحصى شيئاً على صديقنا الزين أغبطه به ، فقاطنى هو براعته وقدرته ، وإنى لأقر بذلك في غبطة وسرور . وإنما وفق الزين إلى هذا الحد ، لأنه — كما يقول الأستاذ أحمد أمين — قد عاشر الشاعر وصادقه سنين طويلة ، فسمع منه ، وحقق الطريقة القديمة القويمة في الرواية عنه والشافية له ، فكنته ذلك من إيضاح ما غمض ، ومعرفة الصحيحة بمحو القصائد وأسبابها وبواعثها . ثم كان من غنايته للشاعر ووقوفه على دقائق نفسه وما يواعها وما لا يواعها ، ما ألهمه الصواب في الشرح ، والتوفيق في الترجيح ، إذا تعددت المسالك وكثرت الاحتمالات . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الأمر كما يقولون : لا يفهم الشاعر إلا شاعر ، والزين شاعر من طراز صبرى ومن مدرسته كما يعبرون ، فكان بهذا خير من يفهم صاحبه وقريمه ، وخير من يرى شعره هذه الرعاية الحميدة ، ويشرحه هذا الشرح الدقيق الموفق !

قد تقول : وماذا يكون في شرح شعر صبرى من العناء ، وشعره ليس بغريب اللفظ ، ولا بعيد المعنى كما هو شعر حبيب وأبى الطيب والمعري وأضرابهم ، بل الرجل طاهر في ألفاظه ، واضح في معانيه ، ففي مكنة كل إنسان أن يتولى بسطه ، وأن يؤدى شرحه . والواقع أن العناء ليس في الشرح والبسط ، وإنما العناء في النهج الذى نهجه الزين . ذلك لأن شعر صبرى دقيق اللفظ ، مستفيض المعنى ، كثير الإشارات ، بعيد المراسى ، فكان لا بد في شرحه من طول اللفظ واتساع التعبير حتى يمكن أن يستوفى ما فيه ، ولكن الزين وقف عند قولهم « البلاغة الإيجاز » فهو يؤدى ما في البيت من معنى كبير بلفظ موجز موقن ، قد لا يتجاوز به ألفاظ البيت في كثير من الأحيان ، ومن هنا كان العناء الذى لا يضطلع ببثه إلا الزين ، لأنه كما قلنا يفهم صبرى حق الفهم ، ولأنه قد حذق ذلك بالتدريب والمران

والديوان مصدر بتقدمات : الأولى للدكتور طه حسين وقد ضمنها رأيه في شعر صبرى ومميزاته ؛ والثانية للأستاذ أحمد أمين وصف فيها « شعوره بشعر الشاعر وتذوقه لأدبه » ؛ والثالثة للأستاذ أنطون الجليل عن « العوامل الشعرية في نظم إسماعيل صبرى » ؛ والرابعة للأستاذ الزين نفسه ، وقد تكلم فيها عن أخلاق الشاعر ووطنيته وشاعريته وما اتبعه في تصحيح ديوانه . وإنما جمع الأستاذ بين كل هذه المقدمات لأنه — كما يقول — أراد

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن إدارة الرسالة

العدد ١٢ قرشاً

العدد ١٢ قرشاً

آلام فرتر

لشاعر الفيلسوف مبره الاطاني

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

ومن قصة تدعى من آثار الفن الخالد — العدد ١٥ قرشاً